

ضوابط البحث

في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

بقلم فضيلة الدكتور عبد الله بن عبد العزيز المصلح
أمين عام الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة مكة المكرمة

الرجوع لحالة العزة في نفوس أبناء
الأمة الإسلامية بعد الكبوة التي حصلت
لهم نتيجة التخلف العلمي والتقني الذي
يعيشونه.

شبهات حول الإعجاز العلمي في القرآن والسنة:

تلك الشبهات إنما هي عند التحقيق،
منسوبة في مجملها على البحوث غير
المنضبطة حيث وقع أصحابها في التسرع
أو الغفلة عن بعض الضوابط المقررة: علماً
بأن مثل تلك البحوث لا تمثل إلا حالات
شاذة مرفوضة.

إن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي
عندما تنظر في بحث من البحوث تضعه
في مكانه على حسب قربيه من تحقيق ما
يشرط في البحوث أو بعده عن تلك

بين يدي كلامنا عن الضوابط في مجال
البحث في الإعجاز العلمي في القرآن
والسنة يطيب لي أن أذكر بعض ثمرات
البحوث في هذا الميدان والتي منها:

الأثر البالغ في قلوب المسلمين، الرد
العلمي الدامغ على الأفكار التشكيكية
بصحة الرسالة المحمدية، الإثبات عملياً
بأن الإسلام دين العلم حقاً.

الإعجاز العلمي يعتبر خير محرض
لهمم المسلمين كي يتابعوا مسيرة البحث
والتجريب والمقارنة وغير ذلك من وسائل
الكشف العلمية والتقدم المعرفي للوصول
إلى النهضة العلمية الإسلامية المرتقبة.

الإعجاز العلمي يعتبر من أهم وسائل
الدعوة إلى الله في هذا العصر وقناة آمنة
ترفد بقية قنوات الدعوة إلى الله.

ثالثاً/ إظهار أن الرابط الذي يعطي هذا المناط قيمته هو عدم إمكانية إحاطة البشر بتلك الحقيقة وقت التنزيل.

الفرضية والنظرية والحقيقة العلمية:

الفرضية: تخمين واستنتاج ذكي يصوغه ويتبناه الباحث مؤقتاً لشرح بعض ما يلاحظه من الحقائق والظواهر.

النظرية: توضيح علاقة الأثر والسبب بين المتغيرات وذلك لشرح ظواهر معينة، والنظريات مراتب بحسب قربها وبعدها من الحقائق وأقوى النظريات هي تلك التي تقدم شرحاً أكثر منطقية لتلك الملاحظات.

الحقيقة العلمية: المفهوم الذي تجاوز المراحل الفرضية والدراسات النظرية حتى أصبح ثابتاً مجتمعا عليه من قبل كافة العلماء المتخصصين كتمدد المعادن بالحرارة وانكماشها بالبرودة وتبخر الماء عند درجة مئوية تحت الضغط الجوي العادي وتجمده عند درجة الصفر المئوي.

التفسير العلمي والإعجاز العلمي

التفسير العلمي اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم

الشروط والقواعد التي ستمر معنا لاحقاً. نرى أن البحوث في مآلها تكون على درجات ثلاث:

1- بحوث مجازة وهي التي توفرت فيها شروط البحوث المطلوبة وأخذ أصحابها بعين الاعتبار المحترزات كلها.

2- بحوث لا تزال موضع النظر لاستلزامها إضافات ولاحتوائها على سلبيات تمنع من إجازتها.

3- بحوث مرفوضة لانخراط شروط أساسية فيها، أو لعدم توفر المستلزمات البحثية الأساسية فيها.

مناط الإعجاز العلمي أو (وجه الإعجاز العلمي).

يتمثل بحقيقتين هما:

أولاً: ثبوت اكتشاف هذه الحقيقة العلمية من قبل العلماء بشكل مستقر وذلك بعد برهنة المتخصصين في مجالها على ثبوتها.

ثانياً: صحة الدلالة على تلك الحقيقة في نص من نصوص القرآن الكريم أو السنة المطهرة : دون تكلف أو اعتساف في الاستدلال.

الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز للقرآن يدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان.

الإعجاز العلمي: إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي ﷺ.

خطوات إثبات شواهد الإعجاز العلمي في النص الشريف

الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي

1. إثبات وجود دلالة في النص على الحقيقة الكونية المراد إثبات وجود إعجاز علمي بصدها.

التفسير العلمي بحسب إطلاقه أعم من الإعجاز العلمي، فكل إعجاز علمي فهو من قبيل التفسير العلمي دون العكس هذا من حيث العلاقة بينهما.

2. ثبوت تلك الحقيقة الكونية علميا بعد توفر الأدلة التي تحقق سلامة البرهنة عليها.

الفرق بين المصطلحين:

3. ثبوت استحالة معرفة البشر بتلك الحقيقة الكونية وقت تنزيل القرآن على نبينا محمد ﷺ والتي اكتشفت لاحقا في الأزمنة المتأخرة.

الإعجاز العمي خاص بالتوفيق بين الحقائق الشرعية والحقائق الكونية، والتفسير العلمي يتناول النظريات والإشارات الضمنية.

4. تحقق المطابقة بين دلالة النص من كتاب الله عز وجل أو من سنة رسوله محمد ﷺ وبين تلك الحقيقة الكونية.

الإعجاز العلمي متفق عليه بين أهل التفسير، والتفسير العلمي مختلف فيه، بل إن من العلماء من يحرّمه.

5. ثبوت أن النص من السنة المطهرة الذي نستنبط منه الإعجاز العلمي المشار إليه هو صحيح أو حسن حيث لا

التفسير العلمي عند عدم مراعاة شروطه وضوابطه يكون سببا في وقوع

والبلاغة وأسباب البيان المقررة ل يتم فهم أبعاد معاني النصوص.

سادسا: ملاحظة سياق النص وسياقه ومقتضيات الحال وغير ذلك من القرائن.

سابعا: التأكد من وجود إشارة واضحة أو صحيح عبارة على ما ندعي بأنه من معاني النص الذي نحن بصدد بيانه وتفسيره وتحديد الإشارة العلمية بشكل صحيح.

ثامنا: مراعاة أوليات الاعتبار في الاحتجاج بالمعاني فالنص المحكم أولى من الظاهر وظاهر النص أولى من المعنى المستقنى بطريق التأويل ومنطوق النص مقدم على مفهومه كما أن بعض المفاهيم مقدم في الاعتبار على بعض: ولذلك يلزم عدم التسرع في ترجيح وجه تفسيري دون مرجح معتبر.

تاسعا: ملاحظة أسلوب النص وصياغته هل هو عام؟ وهل هو مطلق؟ وهل هو مجمل؟ وهل تشترك فيه معان عدة أم لا؟ وهل يحتوي دلالة على حقيقة علمية لا يمكن تعارضها مع العرف اللغوي الذي قد يقدم في الاعتبار أم هناك احتمال آخر.

تعتمد في هذا المجال الأحاديث الواهية أو الساقطة.

بعد تيقن وجود الإشارة إلى الحقيقة العلمية النص الشريف بشكل واضح يجب الالتزام بما يلي:

أولا: معرفة ما يتعلق بالنص من سبب الورد وهل هو خاص أو عام أو مطلق أو مقيد أو منسوخ أو غير ذلك.

ثانيا: جمع النصوص القرآنية أو القراءات الصحيحة أو النصوص الحديثية المتعلقة بالموضوع ورد بعضها إلى بعض لينتفي التعارض و التنبه إلى معرفة هل ورد نص آخر يفسره، إذ تفسير النص من الوحي أولى بالاعتبار - والسنة من الوحي - لذلك نقدم وجوه التفسير الواردة في السنة على ما دونها.

ثالثا: معرفة ما يتعلق بالموضوع من سبب نزول أو نسخ، وهل يوجد شيء من ذلك أولا؟

رابعا: مراعاة العرف اللغوي في زمن التنزيل دون المعاني التي كثر تداولها فيما بعد، مهما بلغ انتشارها فيما بعد.

خامسا: مراعاة قواعد الإعراب

بمثابة قول الله عز وجل لأنه وحي ووعد من الله ولذلك مهما رأينا وسمعنا في واقع حياتنا بأمور تتعلق بالكون فلا يسوغ أن نقدم ما قيل بصدها على ما ورد عن رسول الله ﷺ ولهذا يجب إعادة النظر عند وجود تعارض ظاهري بينهما لأنه لا يمكن أن يصادم مضمون نص صحيح حقيقة ثابتة أبداً حيث إن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى بل بوحي من الله خالق الكون.

الإعجاز العلمي يتعلق دائماً بالقضايا الخاضعة للتجريب والملاحظة والمقارنة. اجتناب العبارات التي تشعر أن القرآن أو السنة أوهما معا يحتويان. ما يمكن أن يعبر عنه بالنقص أو أن العلماء السابقين قصرُوا في فهمها أو أنهم قد أخطأوا في فهم ما يشتملان عليه من حقائق.

الاعتدال في بيان الحقائق الكونية بعد التأكد من ثبوتها وعدم الاندفاع العاطفي الذي يترجم انبهاراً وعدم اتزان. فيحذر الباحث من الجري وراء نظرية تفتقر لبرهان يثبتها بشكل منضبط ومؤكد لأن الإعجاز العلمي إنما يعتمد إثباته على الحقائق حصراً.

عاشرا: عند التأويل للنص لا بد أن يكون هناك ما يقتضي ذلك ويلزم عندئذ إعمال القواعد المعتبرة عند أئمة الأصول والتفسير.

حادي عشر: اعتماد المعاني المقررة للحروف التي تسمى حروف المعاني كما قررها الأئمة الأعلام.

ثاني عشر: البعد عن تأويل المتشابه وكذا الخوض في القضايا السمعية، ما لا يخضع للنشاط الذهني، بل يعتمد على النصوص الواردة بصدها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ثالث عشر: ومن ذلك عدم الخوض في النصوص المتعلقة بالغيبيات التي استأثر الله بعلمها.

رابع عشر: الحذر من الأخبار الإسرائيلية والآثار الواهية.

خامس عشر: التأدب مع علماء الأمة والحذر من تسفيه آرائهم فكم عاب إنسان آخر في اجتهاده فكان فيه العيب، إذ لم يحسن فهم مرامي الكلام أو مقتضيات الحال.

سادس عشر: يجب ألا يفارقنا اليقين بصدق قول رسول الله ﷺ الذي هو

في مثل هذا الخوض تمحل وتكلف وتنطع.
التزام الآداب البحثية العامة من التواضع
واللطف والنزاهة، وأن يخلو البحث من
عبارات تسيء لأحد أو تغمز به.

وبذلك نتقي بإذن الله تعالى التناقضات
والسلبات في ميدان بحوث الإعجاز
العلمي؛ علما بأن المرجعية الأساسية
للإعجاز العلمي إنما هي كتاب الله وسنة
رسوله ﷺ والحمد لله رب العالمين.

على الباحث التزام الحيادة البحثية
وعدم التحيز لما يعرضه بل يتوجب عليه
كذلك عدم الركون للقناعات الشخصية
وجعل العلم الكوني بمثابة المرجع المرجح
والملاذ الذي يركن إليه بإطلاق.

عدم الغفلة عن ملاحظة إظهار هداية
القرآن والسنة للتي هي أقوم: حيث هي
الغاية من إنزال القرآن الكريم.

عدم الخوض في الأمور الغيبية التي استأثر
الله بعلمها ولم يقدرنا على الإحاطة بها لأن

